الدعاة وميراث النبوة

أيها الأخ الداعية... مرحبا بك وأنت تنضم إلى ركب الدعاة الذين يدعون إلى الله على بصيرة... مرحبًا بك جنديًا من جنود الإسلام، مرحبًا بك وأنت على ثغرة من ثغور الإسلام، فاحذر أن يُؤْتَ الإسلام من قِبَلِكَ.. مرحبا بك وأنت تحرص على إحياء سنة رسول الله ﷺ عندما كان فى دار الأرقم بن أبى الأرقم أو على جبل الصفا، ثم فى المسجد النبوى، ثم بمنهجه الذى ورثناه عنه، صلوات الله وسلامه عليه.. مرحبا بك وارثًا لميراث النبوة؛ لأنهم ـ أى الأنبياء ـ لم يورثوا دينارًا ولا درهما، وإنما وَرَّثُوا علمًا وأخلاقًا، ويكفيك فخرا وشرفا ما توجك به رسول الله ﷺ فى قوله «العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهما وإنما وَرَّثُوا العلم، فمن أخذه أخَذَ بِحَظٍّ وافر»(١).

لقد ورثك رسول الله ﷺ سيرة عطرة، وأخلاقا طيبة وقدوة حسنة، وقرآنًا يتلى على مر الدهور والأزمان..

أيها الأخ الكريم، إن رسالتك عظيمة، ودورك خطير؛ لأنك تعلِّم الخير للناس، وترشدهم على أساس من منهج الإسلام، وتوجيه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى تصحيح المفاهيم، وتحاول بقولك وعملك أن تنهض بالمجتمع لتقيه من العادات السيئة، وتغرس فى نفوس رواد مسجدك ومحبيك القيم الدينية والعادات الحميدة، والعمل على تنمية المجتمع، والنهوض

(١) كشف الخفا جـ ٢ صـ ٣٨ مكتبة التراث.

بمرافقه، والحفاظ على المال العام، وقد اختارك الله ـ عز وجل ـ لهذه المهمة السامية، فحاول بقدر جهدك وطاقتك وما يمليه عليك ضميرك وتحتمه عليك مهمتك ـ أن تسهم فى رُقِيِّ المجتمع، وأن تكون قدوة صالحة فى قولك وعملك، مخلصًا لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم... وأن تكون عند حسن الظن بك جُنْدِيًّا مخلصًا فى الدعوة إلى الله وإمامة المسلمين وتقديم الموعظة الحسنة لهم.

اعلم ـ أيها الأخ الكريم والزميل الفاضل ـ أن رسالة الداعية يحبها كل الناس، ويتمنى كل شخص فاضل أن يكون من رجالها؛ لشرفها وعُلو قدر المنتسبين إليها، ومن هنا كان من دعاء الصالحين الذى حكاه الله ـ سبحانه ـ فى كتابه العزيز على لسانهم قولهم: ﴿ **وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾[1].

كما أن إبراهيم عليه السلام ـ وهو شيخ الأنبياء والمرسلين ـ قد طلب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعل الإمامة فى ذريته من بعده، وذلك لشرفها وفضلها وطهارة مسلكها، فاستجاب الله دعاءَهُ، وقال مبينا ذلك: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[2].

إن شرف الإمامة لا يناله إلا المخلصون الصادقون؛ لأن الظلم

---

(١) سورة الفرقان ـ. من الآية ٧٤.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٢٤.

حائل بين الإنسان وبين المنازل الرفيعة التى أعدها الله للصادقين من عباده، والظالم لنفسه لا ينهض بمسئوليته، ولا يصلح لقدوة ولا قيادة، ولا يصبر على تحصيل العلم، ولا يقوى على هداية غيره، وقديمًا قيل: فاقد الشيء لا يُعْطيه، والشاعر يقول:

لا يَعْرِفُ الحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ

ولا يَنَالُ العُلاَ مَنْ طَبْعُهُ الغَضَبُ.

أيها الإمام، نضر الله وجهك؛ لأنك تنقل من فمك إلى مسامع الناس كلام الله، وهَدْىَ نبيه وسيرة الهُدَاة الراشدين، وترسخ فى أعماق الناس حُب الله وحب الصالحين، وتنمى فيهم روح الولاء للخالق ،والانتماء للوطن، والارتقاء به، والنهوض بالصناعة، وإتقان العمل، وحب الناس؛ لأن الإنسان لايؤمن إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه؛ لذلك فالغش حرام، والسرقة حرام، وتجريح الناس حرام، وترويج الإشاعات حرام.

ثم تحث الناس على المحافظة على المال العام، حتى ولو كان مليما، فالمسلم أمين صادق، يحب جيرانه ويعاونهم، ويساعد الأيتام، ويخرج الزكاة، ويتصدق بكل ما فى وسعه وقدرته، وهكذا ـ أيها الأمام ـ يتبين أن رسالتك عظيمة، وأن مهنتك رفيعة القدر؛ لذلك رفع الله قدرك وأعلى شأنك فقال ـ سبحانه ـ: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[1].

وإذا كان هذا شأنك فحافظ على مستواك الأدبى والعلمى والمظهرى:

(١) سورة المجادلة - من الاية ١١.

١ ـ كن قدوة صالحة فى سلوكك.

٢ ـ لا تفعل أى شىء يخالف قولك.

٣ ـ لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتى مِثْلَهُ عار عليك إذا فَعَلْتَ ـ عظيم.

٤ ـ قابل الناس بوجه حسن باش باسم؛ فابتسامتك فى وجه أخيك صدقة.

٥ ـ اخْفِ آلامك عن الناس، وكن كما قيل:

ولا تُرِيَنَّ النَّاسَ إلا تَجَمُّلاً نَبَا بك دهر من أوْجَفَاكَ خَلِيلُ

والمقصود من ذلك أن الناس يبوحون لك بمشاكلهم، ويستودعونك أسرارهم، فإن رأوك مُتْعبًا ابتعدوا عنك، والمطلوب منك أن تقربهم إليك.

٦ ـ لا تفتح أذنك لكل الكلام؛ فإن الحق ـ سبحانه ـ جعل لك أذنين تسمع بهما، فاسمع الجميل واختزنه، وأخرج الكلام الذى فيه إساءة إلى الغير من الأذن الثانية، ولا تعاتب على كل صغيرة، فكن أنت أكبر من التوافه، وأقول لك ما قاله أحد المربين.

يا عُلَمَاء الأمة يا مِلْحَ البَلَد

من يُصلح الملحَ إذا الملح فَسَدْ

٧ ـ طَهِرْ يَدَكَ ونَظِّفْ لسانك...

كن جميل المظهر والمخبر،

وتأمل فى قول القائل:

ومهما تكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ

ـ وإنْ خَالَها تُخْفى عَلَى النَّاس ـ تُعْلَمِ

٨ ـ كن يقظ الضمير، مرهف الحس، جياش العاطفة، قَدِّم الخَيْرَ لِمَنْ تَعْرِفُ ومن لا تعرف، كن حليماً، ،واسع الصدر، صبورا، وتأمل قول الله: ﴿ **وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** ﴾[1].

٩ ـ لا تقصر فى أداء الواجبات الاجتماعية ـ وأكثر من القراءة، وردد: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾[2].

(١) سورة آل عمران - من الآية ١٥٩.

(٢) سورة طه - من الآية ١١٤.

الأئمة الدعاة

الدعاة إلى الله هم من أخلص العناصر لأمتهم، ومن قادة الإصلاح فى مجتمعهم، وهم ثروة عظيمة يجب على الأمة أن تعمل على رعايتها وتنميتها؛ لأن صوتهم من على المنبر له تأثير قوى جدا فى المجتمع، ذلك لأنهم يقولون بالحق وإليه يدعون.

وعماد دعوتهم القرآن الكريم. . الذى إذا تليت آياته على آذان الناس حركت مشاعرهم، وهزت وجدانهم، ونفذت عباراته إلى القلوب، واستجاب الناس لها.

والأمة الناجحة هى التى تحرص على تربية الدعاة، وتدفع بهم إلى الآفاق؛ ليكونوا صوت خير يهدى الحيارى إلى سواء السبيل، كما أنهم مشاعل ضوء تنير الطريق لمن أراد الوصول إلى الصراط المستقيم. ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾**﴾[1].

إن دعاة الإسلام هم الأساس فى نجاح خطط الدعوة؛ لأنهم الدعامة الرئيسية لها، يؤمنون برسالتهم، ويتفهمون طبيعة عملهم، وعندهم معرفة بلغة الحوار والنقاش؛ لذا فهم كوادر متميزة فى المهارة والذكاء والفهم، وعليهم أن يكونوا فى مستوى المسئولية؛ لأن كلمتهم لها خطورتها، ثم هم يقدرون الوقت وقيمته، فلا

(١) سورة الشورى - الآية ٥٢.

يضيعونه فى لعب؛ لأنه رصيد الفرد فى بنك القدر، ويقرءون بعين ناقدة، ويسمعون بأذن واعية، ويشاهدون بفكر نافذ، وتأسيساً على ذلك فإن الداعية يركز على نقطتين:

١ ـ أن يعرف كيف يوجه رسالته بما يملكه من قوة الفكر والبيان؛ ليستطيع أن يؤثر فى عقول المستمعين.

٢ ـ أن يعرف ماذا يريد، وما هو الهدف من الموضوع الذى يطرح على الجماهير.

ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة، الذى يقول عنه عبدالله ابن مسعود: «كان رسول الله ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بالمَوْعظَة مَخَافَة السآمة علينا»(١).

والإمام الداعية صاحب رسالة يؤمن بأهدافها، ويسعى بكل قدراته لتوصيل تلك الأهداف إلى من لا يؤمن بها، وبإيمانه بتلك الأهداف يستطيع أن يعبر بمستمعيه حاجز الجهل الذى يفصل بينهما، ويؤصل فكره فى أعماقهم بقوة يقينه، وبالهدف الذى يعمل على تحقيقه.

والداعية شخص يعيش للمبدأ الذى يؤمن به، فهو يتفرغ لدعوته، كل وقته مشغول بها.. يحمل لواء الدعوة بالفكرة التى ترسخت فى أعماقه، يجعلها حلم منامه، وهتاف يقظته، والدافع

(١) رواه البخارى ـ كتاب العلم.

لحركته، يبيت يحرسها، إنْ أكَلَ فلكى يتقوى على السير للتبشير بها، وإن استراح فلكى ينهض ليواصل السير فى سبيلها.

والإمام الداعية شخص يعيش مشاكل أمته، ويتابع كل فكرة تناهض دعوته ،يحاول بكل طاقته أن يتابع كل جديد فى دائرة تخصصه، لا يفصل فكره عن المجتمع،ولا يعزل نفسه عن الأحداث، ولا ينطوى على فكر معين؛ لأنه لا يليق به أن يتحدث إلى قوم حديثا ينبئ عن قصور فكره وعدم فهمه له.

وإذا كان الحق ـ سبحانه وتعالى ـ قد شرفك بهذا العمل وحملك مسئوليته ـ وجعلك للناس إماما ـ فجدير بك أن تكون أهلا لهذه المسئولية، وأن تعد نفسك لهذا إعداداً طيباً بالإخلاص والقدوة الحسنة والعناية بكتاب الله حفظاً وتجويداً وتفسيراً، وبسنة رسول الله ﷺ وسيرته الشريفة فَهْمًا واستيعاباً، وكذلك سيرة الخلفاء الراشدين وبطولاتهم وتضحياتهم فى سبيل الله، وأن تجعل نُصب عينيك ـ مع ما قدمناه لك ـ الفقه الإسلامى درساً وتمحيصاً، وأن تكون على صلة دائمة بالتاريخ وأحوال الأمم؛ لتقف على أسباب قيام الحضارات وعوامل الضعف والانهيار، وأن تتابع كل جديد ومفيد مما تستدعيه دعوتك، وأن تكون حكيماً فى عطائك، جاعلاً نصب عينيك المبدأ الربانى الكريم ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] . ففيه ركائز الدعوة كلها.

---

(١) سورة النحل - من الآية ١٢٥.

والمساجد بيوت الله فى الأرض أذنَ أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، ولا يُدْعَى فيها لأحد سوى الله، وللمساجد منزلة كبيرة فى الإسلام؛ لأن المسجد هو مصدر التوجيه الصحيح فى شتى مناحى الحياة الروحية والمادية، وفى كل خير نافع فى الدنيا والآخرة، لأنها المؤسسة الدينية والثقافية والاجتماعية والإعلامية. ولقد عنى الإسلام بالمسجد من أول يوم، فطالب بإسباغ المهابة والجلال عليه، وصيانته من كل شىء يشوه جماله، فأمر بتطهيره وتنظيفه وتجنيبه أى شىء يحط من مهابته، كالجدل والهراء ورفع الصوت وغير ذلك مما يذهب بوقاره ويشوش على رواده من الركع السجود.

أيها الأخ الداعية، إن المسجد فى الوقت الحاضر يحتاج إلى زيادة الاهتمام؛ ليكون مركز إشعاع، وليعود إلى وضعه الطبيعى؛ لأن المسجد رافد من روافد الحرم الشريف، لقد كان الحرم - ومازال - مركز إشعاع بالخير على الدنيا بأَسْرِهَا، ولقد كان فى العهد الأول للإسلام معهدٌ يشع بالنور فى نشر العلم والمعرفة، ألا وهو دار الأرقم بن أبى الأرقم، وعلى غرار ذلك كان فى مصر الأزهر الذى يدين له العالم الإسلامى بالتقدير والإعزاز؛ لأنه حافظ على التراث الدينى والثقافى عن طريق مسجده المعمور.

من أجل ذلك - ياأخى - نضع أمام عينيك قاعدة يقول بها علماء التربية: إن الإنسان يتعلم إذا أراد مع وجود الدافع الذاتى، رغبة فى التعلم والمسجد عطاؤه دينى وثقافى واجتماعى وتربوى والهدف محو الأمية فى الإنسان.. محو الأمية الدينية ومحو

الأمية الاجتماعية. . وكلمة الأمية نعنى بها عدم قدرة الفرد على مسايرة التطور الاجتماعى والثقافى؛ ذلك لأن علماء التربية يعرفونها بقولهم إحداث النمو فى شخصية المتعلم من جميع نواحيها بقصد جعل المواطن صالحا؛ لأن التربية هى وسيلة لكسب العلم والثقافة لإرهاف القوى العقلية وصقلها ،وإنمائها، ويعنون بذلك مزج الفكر بالعمل، فكلاهما متمم للآخر، ونعنى بالعلم ما يتصل بتجارب المتعلم وأغراضه الحيوية؛ ليصبح قوة فعالة؛ إذ لا فائدة من تعليم لا توجد له وظيفة فى الحياة.

وذلك لكى يحافظ الفرد على ذاته ،ويتمكن من كسب القوت اليومى، ويهيئ لنفسه قدرة القيام بمهام الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية، ويعمل على بناء الجنس والنوع، ولن يتأتى ذلك إلا إذا تزود الفرد بما يمكنه من الاطلاع على التراث الثقافى للجنس البشرى، من علوم دينية أو أدبية أو فنية أو زراعية أو طبية.

إننا نستطيع أن نقول: إن الأمية هى التخلف عن مواكبة سير ركب الحضارة العصرية، والجهل بالتراث القومى من تاريخ وتقدم علمى أو مهنى، مما يجعل المواطن يعيش فى عزلة نفسيه لا تمكنه من تقدير دور السلف فى إرساء دعائم التقدم العمرانى والفكرى، ويترتب على ذلك عدم انتمائه الوطنى أو ارتباطه بالإنسانية.

إننا نعيش فى فترة تَخَلَّفَ فيها البعض عن فهم الدين ومراميه وأغراضه؛ لأن الدين ـ يا أخى ـ يهيمن على كافة شئون الحياة، ويقود الناس ـ بالحب والتعاون والتسامح والصفاء والإحسان

ونشر العدل وتحقيق كل غرض نبيل يكون من ورائه سعادة الإنسانية بأسرها ـ إلى الرقيِّ والتقدم والسعادة والرفاهية، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال العقيدة التى تؤسس على معرفة الله وما يجب له، وكذلك معرفة الأنبياء، والهدف من دعوتهم، وما نزل عليهم من كتب، وأن يكون هناك تنبيه إلى أسباب مراحل إرسال الرسل، حيث كانت الإنسانية تتدرج فى مجال التقدم العقلى، فلما اكتمل نموها، واستوى عودها بعث إليها النبى العربى الخاتم العالمى سيدنا محمد، الذى جاء بقرآن حوى أصول الدعوات السابقة وزاد عليها بما فيه رقى الإنسانية وسعادتها؛ لأنه يدعو إلى حسن العلاقة بالله، وأساسها العبادات، وما يترتب عليها من طهارة نفس وسلامة صدر، ونقاء الوجدان، ويقظة الضمير، ومراقبة لله دائمة؛ لأنه موجود مع الإنسان أينما كان، وبجانب ذلك لابد من حسن العلاقة بالناس من خلال المعاملات التى يتعامل بها الفرد فى كسب معاشه وسلوكه وحياته اليومية، فالدين المعاملة، ،وعلى الإنسان أن يتقن عمله، ويجود صنعته، ويؤدى واجبه ولا يتهرب من المسئولية، وأن يأخذ ما له ويدفع ما عليه بصدق وأمانة.

فالإسلام ـ إذن ـ دعوة إلى السلوك الاجتماعى الحَسَن، كما أنه دعوة لحسن العلاقة بالله، المؤسسة على سلامة القلب، ويقظة الضمير، وحسن التعامل مع الناس. وإذا كان المجتمع الآن يطالب بمحو الأمية وتعليم الكبار فإننا نقول له: ليس هناك من مكان أدَّى هذا الدور بجدارة إلا المسجد؛ لأن فيه يرتفع

الإمام بعقلية الجماهير ثقافياً ومهنيًا واجتماعيًا؛ لأن القرآن يطالب بفهم الكون وما فيه من آيات بينات وعبَر وعِظات، فلك أن تتأمل فى الأرض التى جعلها الله مسرحا للناس، وفيها قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسْقَى بماء واحد، والزرع واحد، والأرض واحدة، ومع ذلك اختلف حجم الثمرة أو لونها أو طعمها، وهناك شجر لا ثمر له، وإنما يتخذ لصناعة الشبابيك والأبواب والمكاتب والأرائك. وهذا الكون الذى هو كتاب مفتوح الإمام يشرحه للجماهير، يبين لهم أن الذى فعل كل ذلك ويفعل هو الله الذى فى السماء عرشه، وعلى الأرض سلطانه، وهو معكم أينما كنتم؛ لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿**وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾[1]. كل ذلك يؤدى إلى زيادة المعرفة العقلية، مع كسب العلم المؤسس على المعرفة والاستنباط.

(١) الأنعام: ٥٩.

زاد الداعية

إن القرآن هو زادك الأصيل أيها الداعية، وإذا كان الله قد قال لحبيبه ومصطفاه أن يقول للناس جميعاً الذين يعيشون على قارات الأرض: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[1]. فقد جعلك الله ـ يا أخي ـ من الذين ورثوا هذا العلم، فاجعل زادك هو القرآن، واعلم أن الناس يأتون إليك بدافع دين ورغبة في المعرفة؛ لأن كل واحد يريد أن يتعلم الحلال والحرام، وأن يعدل من سلوكه؛ ليتفق مع توجيهات القرآن؛ والناس يعرفون أن طلب العلم على كل مسلم ومسلمة، ومن رحمة الله بنا أن القرآن نزل مُنَجَّمًا فريضة على رسول الله ﷺ لأسباب أهمها: تثبيت قلب النبي ﷺ، وتسهيل حفظه، وليتمكن الصحابة من حفظه كذلك، ونقرأ في هذا قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾[2]. وقوله كذلك: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[3].

وإذا كان القرآن نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه المجتمع من الأحكام فإن ذلك أدعى لك لتأخذ جمهورك برفق، وتقودهم بلين، وتدعوهم

---

(١) الأنعام: ١٩

(٢) الفرقان: ٣٢

(٣) الإسراء: ١٠٦.

بالحكمة ولا تستعجل عليهم، فأمامك ـ يا أخى ـ شخصيات لم تدخل المدرسة، أو متسربون من التعليم، أو متخرجون من مراحل متوسطة أو عالية، أو غير ذلك... كذلك أمامك أصحاب مهن وحرف مختلفة منهم النجار، والسباك، والمزارع، والعامل، والتاجر.. كذلك أمامك أصحاب القلوب الطيبة وغير ذلك من الذكور أو الإناث. وهناك من يمارس عمل الحرام، وكل هؤلاء جاءوا إليك ومطلوب منك ـ يا أخى ـ أن تُحْدِثَ نُمُوًّا عقليا عند هؤلاء، وأن يكون لك تأثير عليهم باستخدام خبرتك فى التفحص فى الوجوه، ونشاطك قبل ذلك فى القراءة التى أكسبتك مهارة ذاتية، وجعلتك تتفاعل مع البيئة وتعمل على إبراز قوى الخير فى نفوس هؤلاء جميعاً، ثم تستميلهم إليك؛ لتوجههم إلى الغاية المنشودة لكسب العلم حتى يبتعدوا عن الحرام وفعله، ويقتربوا من شاطئ الأمان، ويتعلقوا بسفينة النجاة وأنت قائدها الماهر تقودها برفق؛ لتسيطر عليهم حتى يبتعدوا عن الألفاظ البذيئة والعبارات النابية ذات الأساليب التى لا تتفق مع كيان الإنسان المتحضر، وفى الوقت نفسه تدفعهم ليتزودوا بقدر كبير من الإرشادات والتنبيهات؛ ليتحصنوا من الوقوع فيما يكون سببا فى البعد عن الله، والخلاف الدائم مع الناس.

إن الوقاية خير من العلاج، وأنت عليك أن تؤدى واجبك بأمانة وسعة أفق وكثرة اطلاع، فإن تحقق لك ما ترجوه فهذا خير وشرف لك، وإذا لم يتحقق ما ترجوه فعليك أن تواصل ولا تيئس ولا تقنط، فإن جاءك من يقول لك: ﴿**لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ**

﴿مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[1]. فَقُلْ لهم ما قاله علماء بنى إسرائيل، عندما قيل لهم ذلك قالوا: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2]. وتردد ما قاله نبيك العظيم لعل الله يُخْرِجُ من أصلابهم مَنْ يُوَحِّدُ الله.

فكن - يا أخى - على درجة الوعى واليقظة الدائمة، وكن كالديدبان الذى يحرس الفضيلة، فإن وَجَدَ اعتداءً عليها فى بيئته يُذَكِّر الجمهور بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

(١، ٢) الأعراف - من الآية: ١٦٤.

(٣) البقرة: ٢١.

الدعـــوة

هى توجيه خطاب لشخص أو أكثر للاقتناع بمبدأ يؤمن به الداعى... وهى من الدعوة إلى الشىء والحث على التمسك به... قال الله تعالى على لسان سيدنا يوسف: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[1]. أى من الدعوة إلى فعل الفاحشة... وقول الحق أيضاً: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾[2]. أى: السلامة من المكاره، والأمن من الخوف.

ومن المعلوم أن كل دعوة ـ مهما بلغت من السمو ـ لا يمكن أن تجذب إليها الأنظار ما لم يكن لها جهاز دعاية يحمل لواءها وينشر فكرها، ويدعو الناس إليها، وهذا الجهاز يؤسس فكريًا ويدرب على الدعوة للمبدأ الذى يؤمن به، والأساليب التى تؤهله إلى توصيل المعلومة التى يؤمن بها إلى غيره.

محاور الدعوة:

والداعية الناجح يتخذ لتوجيه دعوته محاور ثلاثة:

١ ـ الدعوة الفردية:

فالداعى يصاحب إنسانا معيناً يؤثر فيه بسلوكه، ويعمق فكرته فى وجدانه بنفاذ بصيرته، وقوة إيمانه بدعوته، ويحاول أن يقضى أكثر وقته معه؛ لأن الصحبة لها تأثير شديد فى وجدان المدعو،

---

(١) يوسف ـ من الآية : ٣٣.

(٢) يونس ـ من الآية : ٢٥.

وهذه الصحبة ـ بلا شك ـ لها تأثير كبير وفاعلية أسرع فى التأثير المباشر.

٢ ـ الدعوة الطبقية:

وذلك بأن يختار الداعى مجموعة من الناس يتفقون فى الميول والرغبات.. نزعاتهم واحدة، ومشاربهم متفقة، كأن يكونوا من العمال، أو الزرّاع أو الطلاب أو التجار أو النساء، ويبدأ يبين لهم المعاناة التى يعيشون فيها بسبب بعدهم عن الدين وفضائله أو المشاكل التى تحيط بهم بسبب خلافاتهم أو انعزالهم عن القيم الأخلاقية، ثم يبدأ فى شرح الفكرة الجديدة مع الربط لمقدمته، أو يبين لهم أن عليهم أن يزيدوا فى إنتاجهم مع إتقان الصنعة.

والداعى يخاطبهم على قَدْرِ فَهْمِهم، ويُعايشهم فيما يحيط بهم من مشاكل، ويلمس أحاسيسهم؛ ليكون التأثير أقوى عليهم، استناداً إلى قول الله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾[1]. وقول الرسول ﷺ « أمِرْتُ أنْ أخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِم».

٣ ـ الدعوة الجماعية:

وهى أن يتحدث الداعى إلى مجموعة من الناس، فيهم الرجل والمرأة، والشاب والشيخ، والمثقف والأمى، ويخاطبهم جميعاً بحديث يؤثر فيهم ويجذبهم إليه؛ لأنه يخاطب وجدانهم ويعمق

---

(١) إبراهيم ـ من الآية: ٤.

فكره فى مشاعرهم، ويحرك أحاسيسهم فيما يعيشون ويتأثرون به وينفعلون بقوله.

ومما لا شك فيه أن الذى يدعو لفكرة يتحسس مشاعر الذين يدعوهم، ويتعرف على موضع كلمته فى نفوسهم وما لها من صدًى وتأثير.. وعليه أن يفهم طبيعة الزمان الذى يحيا فيه، مع إدراك الاتجاهات السائدة فى البيئة التى يتحدث فيها، ويوجه كلامه إلى من يدرك أنه سيترك أثرا يؤتى ثماره ولو بعد حين، وهو فى إيمانه بمبدأ دعوته لا بيأس ولا يتسرب إليه القنوط؛ لأن الأمل يملأ عليه أقطار نفسه، وله فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، وهو القائل «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

أنواع الدعوة:

تتنوع الدعوة تبعاً للداعى ومبدئه الذى يؤمن به، فهناك من يدعو إلى الخير وآخر يدعو إلى الشر.. هناك من يدعو إلى الإيمان، وآخر يدعو إلى الإلحاد، هناك من يدعو إلى التمسك بالقيم الفاضلة، ومن يدعو إلى الانحلال الأخلاقى.. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[1].

وأبرز الدعوات علاوة على ذلك هى:

(١) هود: ١١٨. وصدر الآية ١١٩.

(أ) الدعوة السياسية:

وهى توجيه الدعوة لأهل منطقة معينة لغرس مبدأ سياسى، كالدعوة إلى الإيمان بالنظام الجمهورى أو الملكى أو الخلافة، وهكذا يبدأ الداعى فى شرح أسلوب المنهج وما فيه من أسس توفر الأمن للجميع، ويعم الخير من وراء الاقتناع بهذا المبدأ أو تطبيقه مع شرح المتاعب فى المبادئ الأخرى.

(ب) الدعوة القضائية:

تتلخص هذه الدعوة فى رفع القضايا أمام المحاكم، وتولى الدفاع عن المتهم وتقديم المذكرات وتداولها، وتعتمد هذه على نصوص قانونيه وأدلة.. وشهود وجانٍ ومجنى عليه، وهكذا.

(ج) الدعوة الاجتماعية:

وتقوم هذه الدعوة على أساس تعريف الناس بحقوقهم الاجتماعية، كحقهم فى المعاشات قِبَلَ الدولة والتأمينات الاجتماعية، وتشكيل النقابات، وكذلك حقهم فى المؤسسات العامة كالمدارس، والمستشفيات، والوقاية من الأمراض، وتعريف الناس بالصناعة وإجادتها، والنظافة العامة، وما شاكل ذلك.

(د) الدعوة الدينية:

تقوم هذه الدعوة الى التمسك بالدين وقيمة والتحلى بالاخلاق ويجب أن تتسم باللِّين والكلمة الهادفة المؤسسة على الحكمة؛ لأن الدين الذى ندعو الناس إليه هو الذى بعث الله به رسله

الذين ترادفوا للأخذ بيد الإنسانية؛ لتسير على الطريق المستقيم وتنهج المنهج الذى يسمو بأفراد المجتمع، ويصحح الفكر؛ ليستقيم على رعاية حق صاحبه وحق المجتمع الذى يعيش فيه، وكل الدعوات تنطوى تحتها، سواء كانت سياسية أو قضائية أو اجتماعية أو مذهبية؛ لأن الدين شامل لكل مناحى الحياة، والدعوة إليه مؤسسة على العدل والمساواة والحق والفضيلة والقيم الأخلاقية النبيلة، والذى يحمل لواء هذه الدعوة عليه أن يتسلح بأمرين:

أولا: عليه أن يكون خبيرا بطبائع النفوس، عليمًا بأحوال المجتمع الذى ينشر دعوته فيه؛ ليستطيع تحقيق هدفه من أقرب طريق وبأيسر الوسائل.

ثانيا: عليه أن يتصف بالحكمة، وهذا يتطلب منه دراسة جادة للبيئة التى يعيش فيها، بأن يكون فاهما للثقافات التى تمتلئ بها عقول المدعوين، والآراء التى تموج فى نفوسهم، وأن يكون على دراية بالعلوم الإنسانية والكونية والفقهية، والتاريخية، حتى يستطيع أن يصل بذلك إلى نفوس المدعوين وهو يدعو الناس، وعليه أن يتحسس أمراض المجتمع، ينصت لشكايات أفراده ولا يضيق منهم، ولا ييأس من هداية النفوس؛ لأن مثله كمثل الطبيب يتحسس أوجاع مرضاه، ويأخذهم برفق إلى احتساء الدواء، وإن كان مُرًّا؛ لأن الداعية هو طبيب النفوس عليه أن يستخدم

جميع الوسائل التى تقضى على العلة، وعليه وهو يقوم بهذا أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لأن الموعظة الحسنة توقظ الإنسان من غفلته، وتنبهه إلى عاقبة أمره؛ لأنه فى زحمة الحياة كثيراً ما ينسى ما فيه خيره ويتلهى عن مصيره، يوغل فى الغفلة والنسيان، وتحت أستار الغفلة يأتى ما يأتى من أخطاء.

فالموعظة الحسنة تخترق أستار الغفلة؛ لأنها تدخل على القلب بغير إذن، فتوقظ الإنسان من غفلته، وأذكر أن إماما انتهج أسلوب الشدة والسب، وتوعد المصلين بالويل والعذاب الأليم، فوقف له رجل وقال له: يا هذا، إن موسى الذى هو أفضل منك أرسله الله إلى فرعون الذى هو أقبح منا، ومع ذلك قال الله لموسى وهارون: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾[1]. ونحن لسنا فى حاجة إلى موعظتك بهذا الأسلوب الذى ينفرنا من قبولها، فاتق الله فينا وحَبِّبْنا إلى الله ولا تنفرنا منه.

الحاجة إلى الدعوة الدينية:

كل العالم محتاج إلى أن يعرف الله كما عَرَّفَ نفسه ـ سبحانه ـ إلى عباده، وهذه الدعوة لابد أن تكون عن طريق الأنبياء وبواسطة الوحى؛ لأن النفس الإنسانية ـ مهما بلغت من كمال ونضج ـ لا تدزك عظمة الله إلا إذا قرأت فى صحف الانبياء

---

(١) طه: ٤٤..

الذين ترادفوا لتوضيح ذلك من عهد آدم عليه السلام إلى أن ختم الله أنبياءه بسيدنا محمد الذى بشر به من سبقوه من إخوانه المرسلين الذين أوحى الله إليهم جميعا أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. ورسالات الله حيثما ظهرت كانت من الكمال بالقدر الذى يملأ على الإنسان أقطار نفسه وحسه، فلا يتطلب وراءها مزيدا.

دعوة الأنبياء:

وأنبياء الله دعوتهم لحياة القلوب وإيقاظ النفوس: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[1]. ومهمة الأنبياء الأولى تصحيح العقيدة فى نفس الفرد حتى يعبد الله خالقه، وبتصحيح العقيدة يكون بناء الإنسان من داخله على نظافة القلب وطهارة الوجدان. فينهض بكل عمل يراه يحقق السمو الروحى والنضج الأخلاقى للإنسانية، ويسعى الفرد على الأرض وهو موصول القلب بالله الذى يشعر بوجوده معه ورقابته عليه وهيمنته فوقه. وأنبياء الله هم رواد الإنسانية فى مجال الخير والدعوة إلى الإسلام الذى يشمل نظام الحياة بأسرها، فهم يعملون على إيجاد مجتمع فاضل يتسم بالخلق والرحمة والعدالة والمساواة فى الحقوق بين الناس جميعا بلا تعصب لجنس أو محسوبية لأحد أو مجاراة لشخص مهما كان.

---

(١) الأنفال ـ من الآية : ٢٤.

الداعية:

والداعية متبع لهؤلاء الأنبياء، وليس بمبتدع، والدعاة طلائع النور فى الأمة وبوادر اليقظة فيها، وأمل المجتمع لغد أفضل تشع فى جنباته السعادة والهدوء والاستقرار، وهم فى دعوتهم يريدون الخير لكل الناس، ويسعون لدعوتهم يبلغونها وينشرونها؛ لتكون السعادة للجميع، فهم فى دعوتهم لا يتعصبون لجنس، أو لون، ولا ينحازون إلى جماعة تغلق فكرها وتتعصب لرأيها وتعزل نفسها عن المجتمع؛ ذلك لأن الدعاة روح جديدة تسرى فى جسم الأمة فتحييه بالحق، ونور يبدد الظلام، ظلام الجهل، فهم يهدون الحيارى سواء السبيل، ويطردون الخوف من نفوس الجماهير.

إنهم يبشرون برحمة الله وعفوه، ويعملون على تدعيم السلام ونشر العدالة والدعوة إلى الخير، فبدعوتهم يحيا الناس ويعيشون فى نور الحق ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾[1].

إن رسالات السماء تستهدف مصلحة الإنسان، وقد وضح الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فى منهج الرسالات سعادة الإنسان وفلاحه؛ لأنه خليفة الله فى الأرض، ولقد كرمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ على جميع خلقه، ومنحه العقل، وهداه النجدين؛ لذلك ترادفت رسالات السماء لتوضح له معالم الطريق وتبين له مواضع أقدامه، فيتمكن من السير على الطريق السوى الذى يوصل إلى عز الدنيا وفلاح الآخرة.

---

(١) الأنعام ـ من الآية: ١٢٢.

الدعوة لإسعاد المجتمع ومحاربة الانحرافات:

لقد أرسل الله رسله مبشرين ومنذرين، وأنزل مع كل نبى كتابا، فكان كل نبى يقوم بتبليغ الدعوة مشافهة بينه وبين من أُرسلَ إليهم، وما من نبى إلا قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(١) . فالدعوة أساس لتصحيح العقيدة، والأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لأن العقيدة تربط الإنسان بخالقه، والصلاة تنظم له وقته وتدربه على النظافة والعمل الاجتماعى حتى لا يعيش منعزلا عن بنى جنسه، وتعطيه وجبة روحية تنير له قلبه، وتوقظ فيه ضميره، وتجعله فى مراقبة لله دائمة، فلا يؤذى غيره، ولا يتهاون فى عمله، ولا يتكاسل عن أداء واجب، والزكاة تغرس فى نفسه حبَّ الناس، ومدَّ يد العون لمن هم فى حاجة إلى ذلك وبذل المعروف لأهله ولغير أهله، ومن هنا قال الله سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾(٢) . وكما قال سبحانه على لسان سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾(٣) .

---

(١) هود ـ من الآية: ٥٠.

(٢) مريم: ٥٤ و ٥٥.

(٣) مريم: ٣٠ ـ ٣٢

ومع ذلك كان كل نبى يحارب الانحراف الأخلاقى الذى يسود فى مجتمعه، ويعلن أن الأمة لا تنجح ولا تتبوأ مكان الريادة إلا إذا سادها الخلق الكريم، والمثل العليا؛ لذلك نرى نبيا كسيدنا شعيب يرى أن ضياع الأمة وطمس معالم الحضارة فيها كان بسبب انتشار الأخلاق الفاسدة، وانعدام المثل العالية؛ لذلك كان اهتمام هذا النبى العظيم بعد غرس العقيدة فى نفوس قومه ـ محاربة الغش التجارى الذى انتشر بين التجار فى البيع والشراء، ويصيح فى قومه: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾(١). وبقوله: ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٢).

وسيدنا لوط الذى حارب الشذوذ الجنسى والانحراف الخلقى والخروج على مقتضى الفطرة البشرية، وكما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾(٣). وسيدنا صالح عليه السلام الذى كان يحارب الترف المادى المؤسس على الاستغلال والظلم والبطش بالضعفاء، فهو يقول لقومه: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾(٤).

---

(١) الشعراء: ١٨١.

(٢) هود ـ من الآية: ٨٥.

(٣) العنكبوت: ٢٨ وصدر ٢٩.

(٤) الأعراف ـ من الآية: ٧٤.

وهكذا كل نبى له مهمة عظيمة ورسالة خطيرة، فكما أنها تبنى الإنسان على الخير من داخله كذلك فى الوقت نفسه تصحح المسار للشخص والجماعة؛ ليتم الربط بين الإنسان وأخيه الإنسان فى إطار المودة والمحبة والتعاون وإقامة مجتمع مترابط متواد متآلف.

وكان كل نبى يعتمد على تبليغ الدعوة مشافهة بينه وبين الجمهور المستهدف، أو يرسل رسله أو كتبه حيث كان يخاطب الكل بلا استثناء. وأنبياء الله زعيمهم سيدنا محمد قال الله له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[1].

لذلك خاطب هذا النبى العظيم قومه بقوله: « لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا قط.. قال: إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة[2]». وكان يأمرهم بصلة الرحم، وحُسن الجوار، وعدم أكل أموال الناس بالباطل، وإتقان العمل، وحب الخير للناس جميعاً. وقد سلك فى توصيل دعوته إلى الناس الأمور المتاحة أمامه، فكان كل صحابى له أن يبلغ ما يسمعه إلى غيره. يقول رسول الله ﷺ «بَلِّغوا عنى وَلَوْ آية، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنى

---

(١) الأحزاب: ٤٥ و ٤٦.

(٢) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى ص: ١٠١، ط: دار الكتاب الحديثة.

إسرائيل ولا حَرَجَ، ومَنْ كَذَبَ عَلَيَّ متعمدا فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ[1]. ويقول رسول الله ﷺ «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عذاب شَدِيد»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ[3].

ومع أن كل شخص مكلف بالدفاع عن الإسلام والذود عنه، وصد التيارات المنحرفة الهدامة التى تحاول طمس معالمه ونبذ أخلاقه، ووصفه بأنه موضة قديمة؛ لذلك يجب على الأمة أن تهيئ المناخ الطيب لفئة تعكف على الدراسة والمتابعة والتحصيل والاستنتاج؛ ليكون هناك ملاءمة بين الفكر والبيئة وتعادل الآراء، وخاصة إذا ما عرفنا أن التخصص فى كل شىء أمر مطلوب، وعمل عظيم يؤتى ثمرة طيبة؛ لذلك ندب الحق سبحانه وتعالى جماعة من الناس تهب نفسها لحمل الرسالة والدعوة إليها ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[4]. ومع ذلك فلابد أن يكون هناك نفر يتصدى لهجوم الملحدين والمتطرفين والمناوئين الذين يعملون بكل طاقاتهم لهدم أسس الدين الإسلامى، وبذل أموالهم لمحاربة الأخلاق الطيبة بنشر الفساد، وترويج الأخلاق

---

(١) فيض القدير جـ ٣ صـ ٢٠٦

(٢) المرجع والصفحة السابقان.

(٣) رواه أبو داود..

(٤) آل عمران: ١٠٤.

الهابطة، والقيم المنحطة، ومع أنهم ينفقون ما سوف يكون عليهم حسرة، فإنهم يعملون ويعملون؛ لذلك جاء التوجيه الإلهى بهذا التخصص فى الدين والتعمق فى الدراسة والتصدى لهؤلاء، وحتى لا يكون الأمر على الإطلاق بين الناس ويتخلى الشخص عن المسئولية لغيره فيضيع الحق ويعلو الباطل، فقد نبهنا الحق ـ سبحانه ـ إلى أنه لابد من قيام نفر ليتفقهوا فى الدين ويتعرفوا على الحلال والحرام، وشرح الآيات القرآنية والسنة النبوية، حتى يتحدد الأمر، وتتضح المسائل، ولا يضيع الحق بين التسيب والإهمال.

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ **فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾[1]. ومن لحظتها وهناك تخصص فى الدراسة والتمحيص، خاصة إذا عرفنا أن التخصص الآن هو الأمر المطلوب، حتى فى الجزئيات، ففى مجال الطب هناك تخصص معين فى جزء معين من جسم الإنسان، وكذلك الكيمياء، والرياضيات، وما شاكل ذلك، ونخلص من هذا إلى الآتى:

١ ـ الأمة الإسلامية مطالبة بالدفاع عن الدين والتصدى لأى انحراف أخلاقى يهدد أمنها واستقرارها: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾[2].

---

(١) التوبة ـ من الآية: ١٢٢.

(٢) آل عمران ـ من الآية: ١١٠.

٢ ـ التخصص فى الدراسة الإسلامية، وتهيئة المناخ لفئة خاصة تدرس الدين الإسلامى وتتعرف على أوجه الحلال والحرام، والعكوف على متابعة التيارات الملحدة والأفكار الهدامة، وبيان ذلك للناس، وتبصيرهم بما يجب عمله أمر مطلوب جداً ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿١٠٤﴾ ﴾[1]. ﴿ **فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴿١٢٢﴾ ﴾[2].

من هذا المفهوم كان هناك العلماء الذين تخصصوا فى دراسة الدين ومتابعة الآراء على المستويين المحلى والعالمى؛ لأن رسالة الإسلام عالمية الفكر، خالدة إلى يوم الدين، ولأن وحى السماء ختم على يد سيدنا محمد، فلا نبى بعده ولا رسول يخاطب من قِبَلِ الحق، وإنما قرآن ربنا الذى نزل على عبده ليكون للعالمين نَذيراً، هو بيننا بما فيه من سمو وعظمة، وهو المعجزة الخالدة الذى من قرأ فيه فكأنما يقرأ طوية نفسه الطاهرة، ومن استمع إليه كأنما يستمع همس خاطره النقى، ومع ذلك فهذا القرآن فيه نبأ من قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل، ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

---

(١) آل عمران ـ الآية: ١٠٤.

(٢) التوبة: ١٢٢.

والعلماء هم الذين يحملون لواء الدعوة، يجددون الدين فى قلوب الناس، ويؤصلون أسس الخير فى نفوسهم، وكان لهؤلاء العلماء منزلة الإعزاز بين قومهم الذين يكفلون لهم حياتهم المعيشية ويهيئون لهم جو الاستقرار، ويحظون بالمكانة السامية فى نفوس العامة والخاصة، وفى نفس الوقت كان الكثير منهم يعمل لكسب قوت يومه له ولأسرته، فكان منهم الخَوَّاصُ، والعَطَّار، والخياط، وصاحب محل بيع الأقمشة... إلخ. والدولة مع تهيئة المناخ لهم كانت تفسح لهم فى هذا المجال؛ ليكون لهم الاستقرار والكفاية المعيشية حتى لا يريقون ماء وجوههم، ولا يظهرون بمظهر غير كريم، واستمر الحال على ذلك إلى أن تنبه أعداء الإسلام، وقامت حملات إرهابية على الخلافة الإسلامية، وتتابعت الحروب الصليبية مُعْلَنَةً مرة ومستترة مرات، حتى قضى على الخلافة الإسلامية وتمزقت الدولة وأصبح كل حزب بما لديهم فَرِحُون.

وقد استمر الأمر على ذلك حتى انحسر الإسلام عن الفردوس المفقود «الأندلس»، ثم عملت معامل الهدم فى البقية الباقية من حضارة الإسلام الزاهرة، وقد نشط العلماء يحثون الناس على النهوض من كبوتهم، والتنبيه لما يراد لهم ولدينهم، وعلا صوتهم لإيقاظ العواطف الدينية وإيثار الدار الآخرة على الدنيا الفانية، والنزول إلى العدو لمحاربته؛ طلبًا لرضوان الله، وسعيًا للحصول على الشهادة فى سبيل الله والدفاع عن الوطن، ومن نالها فهو الحى عند ربه ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ**

عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[1]. وهنا تنبه العدو لخطر العلماء الدينيين عليهم، وأن صوتهم أقوى من المدافع، ولسانهم أحدُّ من السيف، فاتجهوا إليهم، وخططوا للقضاء عليهم، كيف...؟

لقد نشط العدو وفكر وانتهى إلى ما يلى:

١ ـ تشويه صورة رجل الدعوة وإبراز حياته للناس على أنه رجل لا يعرف أى شىء، وأشاعوا حوله جوا من الافتراء عليه بالنكت والسخرية، ونذكر فى هذا المقام ما كان يظهر فى الجرائد حول صورة الشيخ متلوف، ومجلة البعكوكة دورها بارز جدا فى هذا الميدان.

٢ ـ عزل الدعاة عن الحياة العامة وعدم توليهم أى منصب مرموق وتضييق الحياة المعيشية أمامهم، وقصر الأعمال المهمة على غيرهم.. وكان هذا ـ بلا شك ـ عاملاً مؤثراً على الدعاة، الأمر الذى جعل عددهم يقل فى المجتمع، فلاحظ أهل الخير ذلك، فبدأت الأسر الطيبة تهب أحد أبنائها الذكور لتعلم العلم بعد أن يحفظ القرآن فى «الكتاب»، وهنا هب أعداء الإسلام يخططون من جديد للقضاء على تلك الظاهرة، فأنشئوا المدارس الابتدائية، ثم أصدروا قانون الإلزام ـ أى إلزام والد الطفل بإدخال ولده إلى المدارس الابتدائية منذ نعومة أظافره، ومن لم يُدّخِلْ ولده المدارس يدفع غرامة مالية، كل ذلك لم يفت فى عضد ذوى

---

(١) آل عمران: ١٦٩. وصدر: ١٧٠.

النفوس المؤمنة الذين يهبون أولادهم للعلم الدينى وحفظ القرآن الكريم، رغم المعاناة والصعوبات التى تعترض حياتهم.

الأوقاف:

إن الخير كامن فى أعماق المسلمين، والنوازع الطيبة موجودة بكثرة، فعندما أحس أهل الفضل والسعة بتخطيط الاستعمار وحربه للدين وعلمائه، أوقفوا أطيانهم ودورهم؛ ليكون من ريعها ما يكفى لمن يتعلم العلم الدينى، وكانت تعرف «**بالجراية**» تصرف لمن يجاور فى الأزهر، فيتعلم العلم الدينى بعد حفظ القرآن الكريم، وهنا رَوَّج الاستعمار دعايته، وأطلق إشاعاته، وأشاع أكاذيبه حول رجل الدعوة، ومع كل ذلك لم يستطع أن يجفف الروافد التى تمد الأزهر بحفظة القرآن الذين يتخرجون منه فيقومون بالدعوة إلى الله على بصيرة، وهكذا كانت حيله المتعددة تبوء بالفشل نتيجة الإرادة القوية من المؤمنين ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴿٢١﴾﴾[1].

رعاية الدعاة اجتماعيًا:

إن الغرض الأساسى لأوقاف المسلمين هو أن تكون لمن يحفظ القرآن ويعكف على تحفيظه وتفسيره.. لمن يدرس السنة النبوية ويقرأ البخارى ويعلم الناس ذلك، ومن يتعلم الفقه وأصوله وأوجه الحلال والحرام والجائز. كما تكون لرعاية هؤلاء من كل جانب بتوفير السكن المناسب لهم، والملبس اللائق بهم، والمركب

---

(١) يوسف ـ من الآية: ٢١.

الذى يحملهم إلى المكان المراد إلقاء الموعظة فيه، والوصول إلى الجمهور المستهدف وإقامة الندوات، وطبع المصحف لتداوله والكتب المعينة على ذلك من تفسير وفقه وأحاديث وتاريخ وأخلاق. . كذلك رعاية الدعاة صحيًا بإعداد المكان لهم لتوقيع الكشف الطبى عليهم، وصرف ما يتطلب صرفه لهم من العلاج، كذلك تهيئة المناخ لهم لمواصلة الاطلاع على كل جديد من الفكر العالمى والمحلى، وذلك بتيسير سبل الحصول على الكتب والمجلات والدوريات؛ ليكون الداعية عنده إلمام بكل جديد يُنْشَرُ، وبكل مقال؛ ليستطيع تفنيد ذلك ووضعه فى ضوابط القانون الإسلامى، وحتى لا تكون هناك خلخلة فكرية وإثارة لمشاكل يصعب فهمها عند البعض من المسلمين. إن أهل الخير فعلوا ذلك من فهمهم لطبيعة رسالة الداعية وأنه مخ الأمة وقلبها النابض بالحياة وعقلها المفكر بالضوابط على اسس منظمة.

قياس مع الفارق:

إن الأمم الناجحة هى التى تعمل على توفير حياة أفضل لأبنائها، ويتحقق ذلك عن طريق:

١ ـ زيادة المصانع لتشغيل الأيدى، وتوسيع الرقعة الزراعية لتوفير احتياجات الشعب؛ ليكون لدى الجميع موفور الطعام والشراب، ويتم تداول المال وسيولته.

٢ ـ إعداد الجندى المدرب على آلات الدفاع؛ ليكون على حدود وطنه؛ ليصد عن أمته هجوم العدو الذى يريد احتلال بلده، ونهب ثروته، وضياع مجد آبائه وأجداده.

٣ ـ إعداد الشرطى الأمين؛ ليقوم بالحراسة فى الداخل، والضرب على يد المنحرفين، وإيجاد الضبط والربط داخل المجتمع؛ ليعيش الجميع فى جو من الأمن والاستقرار.

٤ ـ توفير جو مناسب لفئة معينة؛ كى تبتكر وتخترع وتخطط وتنظم وتعكف على إقامة جو من العلاقة الطيبة بين كافة الأجهزة المعنية داخل الوطن، وتقيم جسرا من التفاهم لحل المشاكل التى تظهر عند تنفيذ مشروع حيوى يخدم الأمة وينهض بها.

وكل ذلك من الأمور العظيمة والمطلوب توافرها فى أى أمة تحترم نفسها، وتريد حياة طيبة لمجتمعها وغدًا أفضل لأبنائها.

ومن المعلوم أن الطعام والشراب ليسا غاية فى حد ذاتهما؛ لأن الأمة التى تحترم ذاتها تعلم أن لها رسالة تحيا لها، وتعمل فى سبيلها، وغاية تسعى إليها، ومن المعلوم أن الذى يقوم بصنع الحضارة على أى أرض هو الإنسان، ولابد من بنائه على خصائص عظيمة تؤهله للقيام بدوره فى الحياة، والذى يبنى الإنسان هو التلاؤم بين متطلبات روحه ومطالب جسمه؛ ليكون هناك انسجام بين الروح والجسد، وحتى لا يطغى هذا على ذلك لابد من التوجيه والإرشاد؛ لينسجم الإنسان مع نفسه، ويثق فى قدرته ويصل نفسه بخالقه، ويدعم العلاقة الطيبة المؤسسة على الأخلاق الفاضلة بينه وبين الناس فى إطار «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١]. والإنسان لا يستطيع أن يفعل

(١) فيض القدير، للعلامة المناوى ص٦ وص ٤٤٣ ـ دار المعرفة.

ذلك من تلقاء نفسه، إذ لابد من شخص يقوم بهذا الدور العظيم تكون مهمته تأصيل القيم فى النفوس، وتهيئة المناخ العام لإيجاد الفرد الصالح، وبناء المجتمع السليم. ومن الذى يفعل ذلك ويقوم بهذا الدور؟ إنه الداعية، فهو الذى يربى الإنسان على حب الله ومراقبته، وينمى فيه الانتماء إلى الوطن الذى يعيش فيه، وخلق جو من التآلف بين الفرد والمجموع، مع تنمية روح التعاون بينهم، ثم ينمى الضمير الذى يحرك العواطف الطيبة ويسمو بالروح.

والأمة العظيمة هى التى تعمل على تهيئة المناخ الطيب حتى يتم توحيد الهدف وإيجاد رابطة قوية بين الخالق والمخلوق لإبراز خصائص الأرواح مع أحاسيس الأجساد، ذلك لأن الأمة مهما ارتقت من الناحية الصناعية والزراعية، وإعداد الجيوش الكثيرة العدد أو تدريب الشرطة للحراسة، فإن بُعْدَها عن الله يزين لها من الجرائم ما تنحط به إلى الأسفل، ويعرضها لأوخم العواقب: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾[1]. ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾[2].

والذى يقيم التوازن بين الروح والجسد هو الدين.. ويتم التعرف على منهجه عن طريق توجيه الدعوة المستمرة إلى الناس،

---

(١) الفيل: ١.

(٢) الفجر: ٦ ـ ٨.

حتى يستبين للإنسان الصواب من الخطأ، ولتزدوج الحياة مع الدين كما تزدوج الروح مع الجسد.

ويتم ذلك بالأخذ من كلام الله وهدى المرسلين، لأن هناك معارف تتصل بالله، وما ينبغى له وما كلف عباده إياه من فروض لا مجال لتلقيها إلا من وحى الله على لسان رسول أمين، ورسالات الأنبياء لا ترسمها اجتهاداتهم، ولا تنبع من فلسفات فكرية، بل هى توفيقية من عند الله سبحانه وتعالى، والالتزام بأمره، ولا نستطيع أن نركن فى ذلك على عقل البشر أبداً ومع احترامنا للعقل البشرى والفكرى الإنسانى، فإن القصور يلحقهما أحيانًا كثيرة، والنسيان يلازمهما فى بعض الأحيان، أما الكمال المطلق فلله وحده، وله المثل العليا فى السموات والأرض؛ لذلك نجد أن الأمم العظيمة هى التى تهتم بالدعاة وتربيتهم، والعناية بهم حتى يقوموا بدور التوجيه للناس؛ ليقبلوا على الله بصفاء قلب، ونقاء نفس، وطهارة روح، ونظافة جسد، ثم يعملوا على تدعيم القيم الأخلاقية، ونشر الحق بين الناس.

إن اهتمام الأمم العظيمة بالدعاة وتوفير الرعاية الاجتماعية لهم لا يقل عن تربية الجندى أو الشرطى أو الطبيب، إن لم تكن تربية الداعية أكبر أهمية؛ لأن الداعية هو الذى يقوى العزائم بروحه، وهو الصلة القائمة فى المجتمع بين الناس وكتاب ربهم، ويوجه المؤمنين فى شئون حياتهم وروحه؛ مفعمة بالحق والنشاط والأمل، فإذا رأى فتورا فى اتباع الدين وتهاوناً فى القيم واعتداء على الفضائل ونهبا فى المال العام، وغشًا فى التعامل ـ نفخ فى

الصالحين من روحه، لتكون فيهم القوة للدفاع عن الحُرمات التى نَهَى الله أنْ يُعْتَدى عليها وأمر أن تُصان، فصوته يعلو كلما عرض لتعاليم الإسلام ما يعكر صفوه وينال من قيمه.

إن الداعية دائما يعترف بجهد السابقين، ويقدم الشكر لهم على ما بذلوه، ويؤسس دعوته على الوحدة الدينية التى تؤاخى بين الأنبياء وتوقر صحائفهم، وتصون تراثهم، وتحقق فى هذا العالم أهدافهم: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾(١).

إن بناء المصانع سهل، والارتفاع بالعمارات أسهل، وشق الترع لا يؤثر على جهد من يريد، لكن بناء النفوس صعب، وتربية الرجال أصعب؛ لأن ذلك يتطلب تغيير عادات واقتلاع أمور ألفها الإنسان وتطبع بها، ومن هنا كانت مهمة الأنبياء أشرف عمل وأجل خدمة للمجتمع الإنسانى؛ لذلك كان الحق ـ سبحانه وتعالى ـ يختارهم من أفضل العناصر وأطهر النفوس وأكرم البيوت: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾(٢).

ويقول الشاعر:

أرأيت أشرفَ أو أجلَّ من الذى

يبنى ويُنْشِئُ أنْفُساً وعقولاَ؟

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

(٢) الأنعام ـ من الآية: ١٢٤..

الدعاة:

الدعاة هم ورثة الأنبياء؛ لأنهم يحملون لواء الدعوة بعدهم، ولهم من سمات التقدير والاحترام ما يتناسب مع عملهم وشرف مهنتهم، ولأنهم يبنون النفوس ويحيون الأرواح، وصدق الحق سبحانه: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾(١). والدعاة إلى الحق هم أئمة المتقين، يرفع الله قدرهم ويعلى منزلتهم، ويصونهم: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾(٢).

مكان الداعية:

لقد اتخذت الدعوة إلى الدين طريقاً واحداً: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾(٣). وأساس ذلك هو التحلى بالفضائل، والتمسك بالقيم الأخلاقية، وتبصير الناس بكل أمورهم. والمكان المهيأ لذلك هو المسجد الذى هو بيت الله فى الأرض، يدخل إليه أصحاب القلوب والنفوس الطاهرة، يقفون بين يدى الله بنظافة جسد وطهارة روح، وهذا المكان بحق «جامعة شعبية» يدخلها الكبير والصغير، الرجل والمرأة، المثقف والأمى، فلا يُحْجَبُ أحدٌ عن دخوله، اللهم إلا إذا حجب نفسه هو من الدخول فى هذا المكان الطاهر، ومن المعلوم أن الداعية

---

(١) الأنعام ـ من الآية : ١٢٢

(٢) المجادلة ـ من الآية : ١١.

(٣) يوسف ـ من الآية : ١٠٨.

يكون فى جميع الأماكن التى يتم فيها التجمع الجماهيرى، حيث يقوم بتوجيه وتبصير الناس بأمور الحلال والحرام.

واليوم تعددت أماكن التجمعات، وأصبح على الداعية أن يذهب إلى الجمهور يثقف عقولهم، ويجمع صفهم ويوحدهم على كلمة الحق، ويبين لهم الحلال والحرام فى أى مكان، وهو لا يتأخر أبدًا؛ لإحساسه بأنه صاحب رسالة مسئول عن تبليغها إلى الناس أجمعين.

الدعوة فى الوقت المعاصر:

للمَدِّ الإسلامى أثره فى بناء النفوس، وهو الذى جعل المسلمين رواد فكر، وركائز للثقافة العامة، وأساتذة فى كل مناحى الحياة، ولقد اغترف من علمهم رواد الحركات الفكرية، ولا ينكر ذلك إلا مكابر.

ومن المعلوم أن الإسلام بمنهجه يعمل على تحرير الإنسان من ذل العبودية للبشر، ورفع شأنه وتحقيق العدالة الاجتماعية له.

ومن أجل ذلك اتَّخَذَ الدعاة إلى الله الوسائل المتاحة أمامهم لنشر أفكارهم، وكان المنبر فى المسجد هو الأصل فى كل ذلك، فحوله يلتقى أصحاب القلوب الطيبة، والنفوس الطاهرة، الذين قالوا: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا**﴾[1].

---

(١) آل عمران ـ من الآية : ١٩٣.

ولأن التطور من طبيعة الأحياء ظهرت وسائل عدة أهمها:

١ ـ الإذاعة المسموعة والمرئية.

٢ ـ أشرطة الكاسيت: الفيديو.. السينما.. والمسرح.

٣ ـ الجرائد.. والمجلات.. والكتب والدوريات.

وأصبح لكل هذه الوسائل الأخرى جهود ضخمة من ورائها تخطط وتنظم وتبذل الأموال وتجند الرجال، ومن المعلوم أن صوت الداعية إذا اقترب من هذه الوسائل فإنه يسبقها ويلاحقها؛ لأنه يدعو إلى الحق وبه ينادى، وصوت الحق أعلى من كل صوت، ولا يصح إلا الصحيح.

ولقد ظهرت أشياء من هذه الوسائل تحمل الطابع الإسلامى، وتنقل صوت الداعية، إلا أن أسعارها كانت تزيد على قدرة القارئ؛ لأن الدعم لم يصل إليها، ومن هنا عجزت عن مسايرة الأحداث، وتخلفت عن الركب.

لذلك حدثت خلخلة فكرية، وانتشرت تيارات معادية لآراء الإسلام، الأمر الذى يجعلنا نقف طويلا لنحدد الهدف، وهو يتخلص فى الآتى:

١ ـ توجيه الذين يشرفون على استثمار الأموال إلى إنشاء شركات إسلامية تقوم بنشر الفكر الإسلامى على أشرطة الكاسيت والفيديو، وتسجيل الأحاديث النبوية وشرحها، وبيان منهج الإسلام فى ربط العلاقات الاجتماعية بين الناس، ونشر ذلك عن طريق دور العرض ومحطات الإرسال.

٢ ـ تخصيص صفحة يومية بجميع الجرائد التى تصدر لإعطاء رأى الدين فى المسائل اليومية التى تهم الناس وتتعلق بشئونهم.

٣ ـ توجيه توصية لدعم الكتب الدينية حتى يقبل عليها الجمهور، نظرا لغلاء أسعارها بالمقارنة إلى أسعار غيرها من الكتب.

إن شرخًا ما حدث فى جدار الصداقة بين الدعاة والجمهور، ومرد ذلك إلى ظهور هذه الأشياء التى تهدم الأخلاق، وتسىء إلى القيم العالية فى حين صوت الداعية محبوس بين أربعة جدران لا يصل إلى الناس فى منازلهم إلا لماماً، كما أنه لا يصل إلى الجمهور المستهدف فى التجمعات الشبابية فى دور العرض من مسرح وسينما وأندية وجمعيات.

عمل الدعاة توفير الرعاية الاجتماعية للجميع

إن الدعاة إلى الله مع دعوتهم إلى طهارة القلب، وحُسن الصلة بالله والإخلاص فى العمل وإتقان الصنعة، والقيام بشكر الله على نعمه، فإنهم يبذلون جهدا كبيرا لتوفير الرعاية الاجتماعية لجميع الناس، واستعمال الأساليب الدينية لتبصير الناس بحقوقهم، مع دفع عجلة التقدم فى المجتمع؛ ليزدهر ويرقى بيد أبنائه الذين يؤمنون بالله، ويعترفون برسالة سيدنا محمد الذى بعثه الله خاتما للأنبياء والمرسلين؛ لذلك عندما نستمع إلى الداعية فكأنما نستمع إلى:

١ ـ مسئول كبير فى وزارة الدفاع؛ لأنه إذا تحدث عن الجهاد تجده يحث الناس على التدريب العسكرى المستمر وأخذ الأهبة والاستعداد لملاقاة العدو، والدفاع عن الوطن، والذود عن حرمات الأمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (١). و «المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف» (٢).

٢ ـ مسئول كبير بوزارة الداخلية؛ لأنه يحث الناس على اليقظة التامة وحراسة المنشآت، والحفاظ على المال العام، وعدم انتهاك الحرمات، أو فعل أى شىء يخدش الحياء فى الطريق العام، وعدم إيذاء الجار ومراعاة شعوره، والتعاون فى كل الاتجاهات «كل عين باكية يوم القيامة إلا عينا بكت من خشية الله، وعينا غضت عن محارم الله، وعينا سهرت فى طاعة الله» (٣). «لا تروعوا المسلم؛ فإن روعة المسلم ظلم عظيم (٤).

٣ ـ مسئول كبير بوزارة التموين؛ لأنه يحث التاجر على عدم المغالاة فى الأسعار، وعدم تخزين البضائع لخلق سوق سوداء، وعدم تطفيف الكيل ونقص الميزان ﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِى الْمِيزَانِ﴾ (٥). و«من غشنا فليس منا» (٦). و«من احتكر طعاما على أمتى أربعين يوما وتصدق به لم يقبل منه» (٧).

---

(١) الأنفال ـ من الآية: ٦٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٦ ص٢١٥.

(٣) جامع الأحاديث للسيوطى جـ٥ ص٩٧.

(٤) جامع الأحاديث جـ٧ ص١٩٥.

(٥) الرحمن: ٨.

(٦) جامع الأحاديث جـ٦ ص٤٨٢.

(٧) جامع الأحاديث جـ٦ ص٧٩.

٤ ـ مسئول كبير بوزارة الاقتصاد؛ لأنه يحث الناس على الاقتصاد فى النفقة وعدم تبذير المال، والتخطيط المنظم للتوفيق بين الدخل والإنفاق: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (١). ثم يحث الناس على دفع مستلزمات الدولة وعدم التهرب من دفع الضرائب؛ لأن دفعها يعود بالنفع على المواطنين جميعًا من حيث أداء الخدمة، «والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه»(٢). و﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(٣).

٥ ـ مسئول كبير بوزارة الزراعة؛ لأنه يحث الناس على فلاحة الأرض وزراعتها والعناية بها، وبذل الجهد فى النقاوة، وإبعاد الحشائش الضارة عن زراعته، وغرس الأشجار والمحافظة عليها: ﴿فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾(٤).

٦ ـ مسئول كبير بوزارة الصحة؛ لأنه يحث الناس على الوقاية من الأمراض، وهى خير من العلاج، ويطالب الناس بنظافة

---

(١) الإسراء من الآية: ٢٧.

(٢) جامع الأحاديث للسيوطى جـ٦ ص ٦٣٣.

(٣) آل عمران ـ من الآية: ١٦١.

(٤) عبس: ٢٤ ـ ٣٢.

أبدانهم، وغسل أسنانهم، والنظافة من الايمان، ويحثهم على الاعتدال فى الطعام والشراب: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ (١). و«ما ملأ آدمى وعاءً شرًّا مِنْ بَطْنِه» (٢). ثم يحثهم على عزل المرضى والعناية بهم، وأخذ الدواء، وعدم تعاطى المخدرات والمسكرات، واعتزال النساء فى المحيض، وهكذا «إن الله نظيف يحب النظافة، جميل يحب الجمال» (٣). والصِّحة تاج على رءوس الأصحَّاء، لا يعرف قدرها إلا المرضى. ويحثهم على الرياضة البدنية والاعتدال فى كل شىء.

٧ ـ مسئول كبير بوزارة التربية والتعليم؛ لأن الإسلام دين علم وتعلم، ويدفع الشباب إلى التدريب المهنى، وتعلم الحِرَف، والصناعات من الأمور الأساسية التى حث الإسلام على تعلمها وأول آية نزلت تحث على تعلم القراءة: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ (٤). وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٥). و « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

---

(١) الأعراف ـ من الآية: ٣١.

(٢) جـ٥ ص٢٢٤ فيض القدير للمناوى، ط بيروت.

(٣) جـ٢ ص٢٢٤ فيض القدير للمناوى، ط: بيروت.

(٤) سورة العلق ـ الآيات من ٣ ـ ٥.

(٥) سورة الزمر ـ من الآية ٩.

٨ ـ مسئول كبير بوزارة الشئون الاجتماعية؛ لأنه يدعو الناس إلى نشر الوعى القومى، ورعاية المحتاج ومد يد العون للضعيف، وإخراج الزكاة، ورعاية المعوقين والمسنين، ويعلمهم أن يتعرف كل شخص على ما له من حقوق فى التأمينات، وما عليه للدولة مقابل ذلك «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر» (١). و«لا ضرر ولا ضرار (٢)». و«تعاونوا على البر والتقوى».

٩ ـ ثم تسمعه مرة أخرى فيخيل إليك أنه عامل؛ لأنه يطالب رَبَّ المال أن يدفع الأجر للعامل، وعدم التهرب من ذلك «أعْطُوا الأجيرَ أجْرَهُ قبلَ أن يَجِفَّ عَرَقُهُ»، ويطالب رب المال بالرفق بالعامل، وعدم ظلمه فى العمل، وتقديم الطعام والشراب إليه «مَنْ كان أخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَطْعَم».

١٠ ـ مصلح اجتماعى؛ لأنه يقوم بالصلح بين المتخاصمين، ويعمل على إزالة الخلاف، ثم هو مستودع أسرار جمهوره يأتمنونه على فتواهم، ويفضون إليه بأخص خصائص مشاكلهم، ويبوحون إليه بمكنون أسرارهم، وهم يشعرون بالرضا والاطمئنان:

﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٣).

---

(١) جـ٥ ص٣٨٨ ط: بيروت من المرجع السابق.

(٢) جـ٦ ص٤٣١ فيض القدير.

(٣) النساء: ١١٤.

١١ ـ وعلاوة على ما قدمناه، فإنه يشارك الناس فى أفراحهم وأحزانهم، يزور مرضاهم، ويشيع موتاهم، وهو راضى النفس؛ لأنه يشعر أنه صاحب رسالة، والفضل لله أن هداه لذلك الخير، ويَسَّرَهُ له، وقَوَّاه على القيام به. وهكذا يستطيع الداعية بلباقته أن يربط بين القضايا الفكرية، وسوف يقابل بمشاكل عديدة من المنحرفين والمارقين والمفسدين، فهو عليه أن يتحلى بالصبر والحلم وطول البال ولا يتضجر، بل يفوض أمره لله؛ لأنه ستُقدَّمُ فيه الشكوى المجهولة، ويقال عنه من أهل السوء ما ليس فيه، لكن حسبه قول القائل:

وإذا أَتَتْكَ مَذَمَّتِى مِنْ نَاقِصٍ

فهى الشَّهادَةُ لى بِأَنِّى كَامِلُ

وله فى رسول اللهﷺ القدوة لحسنة؛ فلقد صبر على أذى المشركين برغم كثرة إيذائهم له، وكان يدعو لهم بالخير لعل الله يهديهم.

المنبر والداعية:

ثم إن المنبر الذى يعتليه الداعية ما هو إلاَّ مرآة لما حوى الإسلام من معرفة صالحة، وتربية واعية، وموصل جيد لتعاليم الإسلام، وخطبة الجمعة من شعائر الإسلام، ومعانيها تنساب إلى النفوس فى لحظات انعطاف إلى الله وشفافية روح، وخلو من مشاغل الدنيا. والإنسان فى تلك اللحظات يتقبل وصايا الرحمن؛ لأنها تنير له الطريق، وتعينه على حل المشاكل فى الحياة،

وتوجيهات الداعية مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، وآثار السلف الصالح، مع ربط ذلك بالمشاكل اليومية، وكيف تحل بروح الإسلام ووفق منهجه؛ لأن القرآن الكريم شفاء للعلل الاجتماعية الشائعة، والداعية هو الذى يُشَخِّصُ الداء الاجتماعى الذى شاع فى البيئة، ويتعرف على حقيقته، وعندما يستبين له أمره وخطره يرجع إلى كتاب ربه وسُنة نبيه وهدى سلفه، ليحدد الملامح، ويصف العلاج الذى يقدمه للجمهور. . وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(١). فإن النجاح بإذن الله حليفه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾(٢).

وهو يربى جمهوره على التربية الدينية التى تقوم على جوانب خلقية واجتماعية ويشرح لهم ما يقترن بالخير من معان حسنة وعواقب حميدة، وما يترتب عليه من آثار طيبة فى الدنيا والآخرة وما يقترن بالشر من معان سيئة وعواقب ذميمة، وما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة فى الدنيا والآخرة، وهو يتعرض لذكر نماذج من التاريخ تدل على أمجاد المسلمين من النواحى الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية مع مقارنة لنماذج سيئة وبيان العاقبة، ويبين ما شاده المسلمون من حضارة عظيمة ينابيعها تفجرت من الحركة العقلية التى أحدثها القرآن الكريم، واليقظة

---

(١) الإسراء ـ من الآية: ٨٢.

(٢) فُصِّلتْ ـ من الآية: ٣٣. .

الإنسانية التى صنعها الرسول ﷺ، والتأسى بالآباء والأجداد الذين أسهموا فى صنع الحضارة العظيمة التى استظل العالم بها وأمن الكل تحت رايتها؛ لما لها من أثر عظيم فى خدمة الإنسانية والنهوض بها؛ لذلك يتنوع حديث الداعية ويتجدد فكره، فهو كالمرآة، يرى الجمهور نفسه على حقيقته فيها، ويقرأ خواطره التى لا يستطيع التعبير عنها من كلماته التى لها خطرها، فعليه أن يجعل لسانه وراء عقله، ويرتب أفكاره مع وحدة الموضوع؛ لتكون الاستفادة أنفع وأعم.

إن الداعية يعرض فكره على الجمهور بين الحين والحين، فهو يجدد معلوماته وينوع ثقافته؛ لأنه يخاطب أعلى المستويات فكرا، وأقلهم ثقافة، ويجمع بين الشاب والشيخ فى الحديث، ينير الطريق امام الجميع بلا استثناء، الرجل والمرأة، مهما كانت ظروف المجتمع، فهو يشد الجميع بجميل عباراته، ويُؤصِّل فيهم القيم الأخلاقية، ويجدد معانى الولاء لله والدين وللأمة التى يحيا وسطها، والوطن الذى يعيش على أرضه وينعم بخيره.

إن الداعية فى أثناء حديثه يتابع وجوه مستمعيه، ويتعرف على مدى تقبلهم لحديثه؛ لذلك يقتصر أحياناً ويطيل فى غير خطبة الجمعة حينًا؛ لأن له من فراسته ونباهته ما يجعله يدرك ماذا يريد الجمهور.

إن سلفنا الصالح عرف الجهد العظيم للداعية؛ لذلك أحاطوه بالرعاية الاجتماعية وأضفوا عليه الأمن وهيئوا له جو الاستقرار؛

حتى يتفرغ لدعوته، ويبحث فى أعماق التاريخ، ويقيم جسراً من اللقاء بين الماضى والحاضر، فى حديث يتسم بالانسجام، ويتقبله الجميع؛ لأنه يصل إلى القلب بعد أن خرج من القلب.

أعظم ثروة:

إذا كان هناك ثروة عظيمة تعتز بها الأمة وتفخر بها وتباهى غيرها من الأمم فإن الدعاة إلى الله هم هذه الثروة، وأحسن للأمة من ملايين البلايين من الأموال التى تنفق وتضيع، أما الدعاة فإنهم يعملون بكل طاقتهم لتربية الأشخاص، وتهذيب الوجدان، وترقيق الحواس، وتنمية الضمير، والإنسان بهذه الصورة هو الثروة الحقيقية؛ لأنه صانع الحضارة، فإن أحسن تربيته كان هو القوة العظيمة التى ترتكز عليها الأمة صعوداً إلى المجد، كل ذلك ليتم الأخذ بيد الإنسانية؛ لتسير على الطريق المستقيم وتبعد عن الانحرافات، وتكشف أمام الأعين المصير العظيم للجادين وغير ذلك للمسيئين، وتنبه الناس إلى أنهم فى يوم آت لا ريب فيه سيقفون أمام ربهم للحساب على ما صنعت أيديهم، وفى هذا اليوم تتكشف السرائر، ويقال لكل إنسان: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[1].

والإنسان إذا ما عرف أنه سيحاسب على عمله ويجازى على فعله وأنَّ كل صغيرة وكبيرة ستوضع فى ميزان بحق وعدل،

---

(١) الإسراء ـ من الآية: ١٤.

وسوف يأخذ الإنسان جزاءه العادل على ذلك، إذا عرف هذا، فإنه سيجود عمله ويحسن صنعته، ويتعامل مع الناس بالإخلاص والصدق؛ ليحصل الجزاء الطيب الذى أعده الله للمؤمنين الصادقين ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾[1]. ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[2].

إنه سيبتعد عن فعل الشر ويسارع إلى فعل الخير، وبهذا تُصان المجتمعات، وإنَّ ما نراه اليوم من انحرافات خلقية وسلبية فى الأداء، وهتك للأعراض، وقتل الأبرياء، سبب ذلك كله غياب الداعية عن الساحة الجماهيرية، وضعف صوته الذى لا يكاد يُسْمَع وسط أصوات الحياة الصاخبة اللاهية، ومرد ذلك عدم الرعاية الاجتماعية للدعاة الذين هم ثروة الأمة الحقيقية؛ لأن الأمة لم تستطع تنمية تلك الثروة وإعطاءَها الرعاية الكاملة كى تنهض بأداء الواجب الذى عليها؛ لأن الدين هو صمام الأمن فى حياة الأمم، وغيابه يجعل الحياة سعيراً لا تطاق، وصدق القائل:

إِذَا الإِيمَانُ ضَاعَ فَلاَ أَمَان ... وَلا دُنْيَا لِمَنْ لَمْ يُحْيِ دِينَا

وَمَنْ رَضِيَ الحَيَاةَ بِغَيْرِ دِينٍ ... فَقَدْ جَعَلَ الفَنَاءَ لَهَا قَرِينَا

واليوم ـ وقد قلنا فيما سبق بأن مكان الداعية هو المسجد، أو أى مكان يتجمع فيه الجمهور، كقصور الثقافة ونوادى الشباب،

---

(١) الرحمن: ٦٠.

(٢) الرحمن: ٤٦..

والنقابات، والجامعات، وغيرها، علاوة على وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية - فإن الداعية يبلغ دعوته بالأسلوب الأمثل، والحكمة والموعظة الحسنة، فى أى مكان، وفى أى وقت؛ لأن الدعوة إلى الله ذكر لله، وتذكير للناس، والداعية مُطالَبٌ بذلك فى أى وقت، وعلى أى حال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[1]... ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[2].

(١) آل عمران: ١٩١.

(٢) الذاريات: ٥٥.